

فكر بنى إسرائيل

- رسالة موسى عليه السلام
- أخلاق قوم فرعون
- شبهة قوم فرعون
- عاقبة فرعون وقومه
- توراة موسى عليه السلام
- آية عيسى عليه السلام

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا
أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾
وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ المؤمنون الآيات من ٤٥ - ٥٠.

رسالة موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ۝ المؤمنون الآية ٤٥.

تواصل سورة المؤمنون عرض قصص الأنبياء بما يؤكد عبرة التاريخ في ملاحظة العدل الإلهي للمكذابين للحق..
لقد أرسل الله موسى وبعث معه أخاه هارون، يشد أزره ويشاركه الدعوة، لأنه كان أفصح لسانا باللغة المصرية القديمة، فإن موسى عليه السلام قد انتقل من مصر، وعاش دهرا في سيناء، والتقى بالشيخ الكبير هناك، وتزوج ابنته ومكث عشر حجج، فنسى الكثير من أساليب اللغة المصرية القديمة، ولم يعد ماهرا في النطق بها لتوقف استخدامه لها خلال هذه المدة..

ولقد أدرك موسى هذه الحقيقة فدعا ربه ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ طه الآية ٢٥ - ٣٠.

فعقدة اللسان عند موسى هي توقفه عن استخدام اللغة المصرية القديمة مدة عشر سنين، هي مدة مقامه بسيناء..

وهذه الحقيقة بعينها هي ما أشار إليه موسى عليه السلام في قوله
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) القصص الآية ٣٤.

فصاحه هارون هي سلامة نطقه باللغة المصرية القديمة لتواصل
تعاملها بها..

لقد بعث الله موسى وهارون بالآيات والسلطان المبين، والمرادُ بها
دلائل الحق وشواهد الصدق التي قدمها موسى لفرعون وقومه خلال
مدة الدعوة..

لقد جاءهم موسى عليه السلام بالآية الكبرى وهي انقلاب العصا حية بأمر
الله تعالى حتى صارت تلقف ما ألقاه السحرة وتأكله أكلا، وأخرج لهم
موسى يده السوداء من جيبه بيضاء من غير سوء، تشع نورا..

فلما رفضوا الاستجابة لداعى الحق قدم لهم نذرا، فأصابهم الجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص الأموال والثمرات، فما زالوا مترددين في
قبول الحق..

وأقام معهم موسى أكثر من حوار، وقدم لهم أكثر من دليل، لكن
فرعون وملاؤه جحدوا دعوة الحق وأفسدوا في الأرض.. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ (٥٦) طه الآية ٥٦.



أخلاق قوم فرعون

قال الله تعالى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاتَّكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٤٦) ﴿المؤمنون الآية ٤٦﴾

إن عقدة العقد التي تصيب النفس الإنسانية هي الاستكبار والترف.. فالاستكبار والأنفة مرض خطير يمنع من قبول الحق والرضا به، ويدفع إلى التمرد والإفساد في الأرض..

ولهذا قال النبي ﷺ في صحيح الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟! فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

والترف آفة خبيثة تدفع إلى إهدار النعمة ونسيان المنعم والعبث بالقيم، ولهذا كان الوصف الأول لأصحاب الشمال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥) ﴿الواقعة الآية ٤٥﴾.

وكان أول تقرّيع للكافرين ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠) ﴿الأحقاف الآية ٢٠﴾.

إن فرعون وملأه جمعوا الخستين، الاستكبار والتطرف، لقد كان فرعون ذا أوتاد، له قوة وبطش وجبروت، وكان يعيش في جنات وعيون، قال تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾ الفجر الآيات من ١٠ - ١٢.

وقال جل شأنه ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥١.

إن الطاغية المستبد يزداد طغيانا ببطانة السوء، وباستكانة الأمة.. ببطانة السوء تزين القبيح، وتخدع في النصيحة، واستكانة الأمة تغري بالاستبداد وتسوق الطاغية إلى مزيد من قبائح الفعال والسلوك.. قال تعالى ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزخرف الآية ٥٤.

وقد بين رسول الله ﷺ أهمية البطانة لولى الأمر فقال- كما فى صحيح البخارى- «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله».



شبهة قوم فرعون

قال الله تعالى ﴿ فَقَالُوا أَنْزَمْنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴾ (١٧) المؤمنون الآية ٤٧.

تسوق هذه الآية الكريمة شبهة قوم فرعون، التي خدعوا بها أنفسهم حين رفضوا دعوة الحق التي جاءهم بها موسى وهارون عليهما السلام..

وهي شبهة ذات شقين:

(أ) أنؤمن لبشرين مثلنا.

(ب) وقومهما لنا عابدون.

وهذه الشبهة بعينها تريد لشبهة الكاذبين من قبل، فقد قالها قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، ورددها بعدهم مشركو العرب على عهد سيدنا محمد ﷺ قال تعالى حكاية عن هؤلاء جميعا:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴾ (٦) التغابن الآية ٦.

لقد أراد فرعون صرف قومه عن الإيمان بدعوى بشرية موسى وأن قومه أذلاء، ليس لهم مكانة اجتماعية..

وعجيب أمر فرعون، لقد ادعى لنفسه الألوهية والربوبية، وأذاق قومه البأساء والمهانة، وسلك بهم مسالك المهلكة وأحلهم دار البوار.. قال تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ القصص الآية ٣٨.

وقال جل شأنه ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

إن الله اصطفى موسى وهارون، واختارهما لحمل أمانة التبليغ وأيدهما بالمعجزات الباهرة ونصرهما النصر المبين..

وموسى عليه السلام واحد من أولى العزم من الرسل الذين جاهدوا في الله حق جهاده وهم خمسة، محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وقد خصهم الله تعالى بالذكر في موضع التكريم والاصطفاء فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب الآية ٧ .

وقال جل شأنه ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف الآية ٣٥ .



عاقبة فرعون وقومه

الله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ المؤمنون

قال

الآية ٤٨.

تحدث الآية الكريمة عن عاقبة فرعون وقومه الذين رفضوا الاستجابة لنداء الحق، وصموا آذانهم عن دعوة الخير، وأغلقوا عقولهم وقلوبهم حتى لا يروا نور الآيات الباهرات التي قدمها موسى وهارون دلالة على صدق الرسالة..

وهلاك قوم فرعون فصلته مواضع عدة في القرآن المجيد، لقد أمر الله تعالى موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر، ويعبر بهم البحر إلى سيناء بعد أن يشير إلى البحر بعصاه فينحمر الماء على الجانبين، ويبرز بينهما طريق ممهدة يمضى فوقها بنو إسرائيل بلا خوف ولا فزع..

وبلغ الخبر فرعون فاتبعهم بجنوده بغيا وعدوا، حتى تراءى الجمعان، وظن أصحاب موسى أنهم مدركون، فطمأنهم موسى عليه السلام بأن الله منجز له ما وعد، وناصرهم على عدوهم..

ووقف فرعون مشدوها، يرى المعجزة التي حدثت من انغلاق البحر وتوقف الماء عن الجريان.. وسولت له نفسه أنه يستطيع أن ينتفع بهذا

الطريق الذى شقته يد القدرة الإلهية المبدعة، ونسى أنها المعجزة لموسى
والدمار لفرعون وجنوده..

ونزل فرعون بجنوده البحر فغشيهم من اليم ما غشيهم، وأحدقت بهم
الأمواج وطوتهم ظلمات البحر..

وفى هذه اللحظة أدرك فرعون خطأ معتقده وضلال تفكيره فتعالى
صوته ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بُنَا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠) ﴿ يونس الآية ٩٠ .

ولكن هيهات، فقد مضى الوقت وانتهى الإمهال، وتحقق الوعيد
﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١) ﴿ يونس
الآية ٩١، وشاء الله أن يلفظ البحر جثة فرعون لتكون عبرة للأولين
والآخرين..

وإذا كان المصريون القدماء يحفظون موتاهم فقد يكون لهذا الفرعون
نصيب من هذا التحنيط ليظل البدن شاهدا على فسق صاحبه وضلاله،
وناطقا بذله وهوانه، مؤكدا عدل الله فى عقابه وسنته فى ملاحقة أعدائه..
قال تعالى ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُجِجِكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ
كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنَّا يُرِيدُونَ لَنُغْلِبُونَ ﴾ (٩٢) ﴿ يونس الآية ٩٢ .



توراة موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤١) المؤمنون الآية ٤٩.

انفرد موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد أن انقذهم من بطش فرعون وجبروته، فكانوا في حاجة إلى قانون يسوسهم، وإلى دستور ينظم حياتهم ويبني مجتمعهم الجديد..

فتلقى موسى التوراة فيها الهدى والنور لبني إسرائيل، وكان هذا التلقى بعد هلاك فرعون كما صرح به قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٣) القصص الآية ٤٣.

وتتضمن التوراة- كما أنزلها الله في صفائها الأول- أحكاما تشريعية مختلفة تتعلق بالعبادات والمعاملات.. قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٨٤) البقرة الآيات ٨٣، ٨٤.

وكانت أحكام التوراة في مجملها شديدة، تعالج قسوة بنى إسرائيل وتمردهم، فحرمت أشياء عليهم من باب التأديب والعقاب قال تعالى ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ النساء الآيات ١٦٠، ١٦١.

وقد سجل القرآن موقفين لبنى إسرائيل:

الموقف الأول هو القبول للحق والإنعان للوحي فأورثهم الله الأرض وبدلهم من بعد خوف أمانا.. قال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ الأعراف الآية ١٣٧.

والموقف الثاني هو التحريف والتبديل للوحي والتمرد على الرسل، وقد وصفهم القرآن بما يليق بحالهم هذه فقال ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ الجمعة الآية ٥.

ومنذ تلك اللحظة لازمتهم اللعنة الإلهية وأحاطت بهم الذلة والمسكنة.. قال تعالى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ﴿البقرة الآية ٦١﴾﴾ البقرة الآية ٦١.

آية عيسى عليه السلام

قال

الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٥٠) ﴿ المؤمنون الآية ٥٠ .

هذه الآية الكريمة أجملت قصة عيسى وأمه مريم عليهما السلام، فقد جعلها الله دلالة قاهرة تظهر قدرة الله الباهرة..

لقد حملت مريم البتول بعيسى دون أن يمسه بشر، ولما جاءها الملك الأمين ليبشرها بهذه الكرامة الكبرى، دار حوار بينهما سجله القرآن المجيد في مثل قوله تعالى ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (٢٠) ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ (٢١) ﴿ مريم الآيات ٢٠، ٢١ .

لقد استحق عيسى عليه السلام أن ينفرد بأنه كلمه الله، لأنه نشأ بكلمة الله التكوينية مباشرة دون أسباب ومسببات..

والملاحظ في البيان القرآني أنه ينسب دائما إلى أمه مريم، وهي المرأة الوحيدة التي صرح القرآن باسمها، وذلك ليقطع تأويلات الخراصين وانحرافات الأفاكين، فعيصى عبد الله ورسوله، بشر كالبشر، يأكل الطعام ويمشى في الأسواق، اصطفاه الله في مولده ونشأته ورسالته،

فهو عبد مصطفى، وبشر رسول، وإنسان تحمل أمانة البلاغ عن الله كما تحمله أنبياء الله ورسله في كل زمان ومكان.

قال تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥)

المائدة الآية ٧٥.

ثم ذكرت الآية الكريمة لونا آخر من تكريم الله لهذا الوليد المبارك وأمه البتول فقال تعالى ﴿وَأَوْسَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠)

المؤمنون الآية ٥٠.

والربوة هي الأرض المرتفعة، ومعنى ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (٥٠) أن فيها أسباب الإقامة والاستقرار من الثمار والماء، فهي أرض تنبت من كل زوج بهيج ويجرى فيها الماء المعين الذي تعينه العين ويسهل الانتفاع به..

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الأرض المباركة هي أرض مصر المحروسة، حين لجأت إليها مريم حاملة وليدها خشية بطش اليهود الذين يفسدون في الأرض ويتعقبون المصلحين.

